مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد التاسع عشر
2002

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1370 من وفاة الرسول ﷺ 2002 من ميلاد المسيح عليه السلام

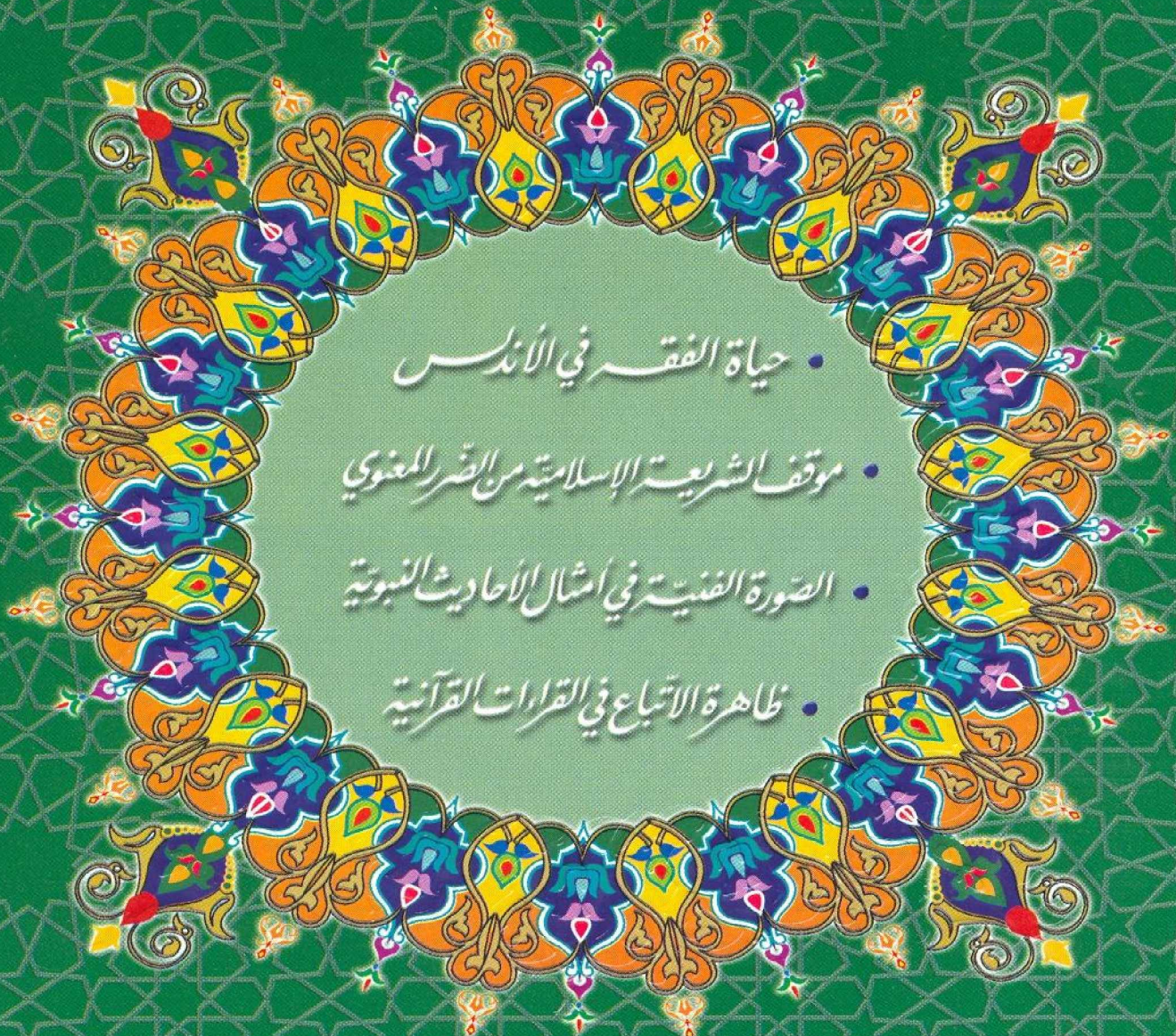

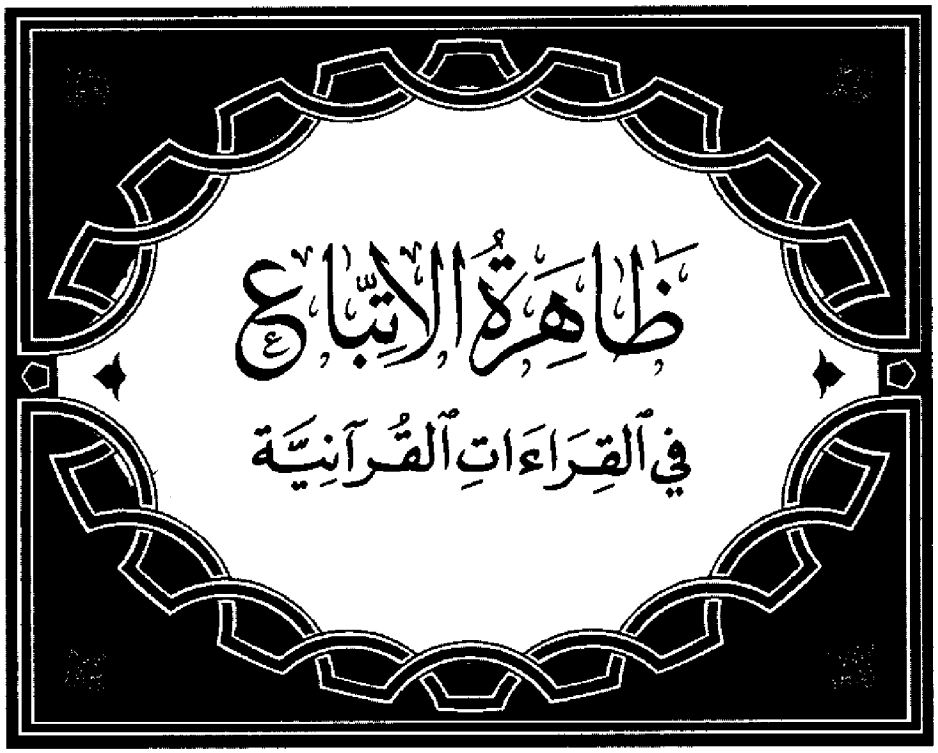

د. محمد السيد علي بلاسي
جامعة الأزهر الشريف

الإتباع في اللغة العربية

مفهوم الإتباع:

تدور كلمة (الإتباع) في اللغة حول: التلو والقفو والولاء. . .

ففي مقاييس اللغة، يقول ابن فارس في مادة (تبع): «أصل واحد لا يشذ عنه من الباب شيء، وهو التلو والقفو، تقول: تبعت فلاناً، إذا تلوته واتبعته، وأتبعته: إذا لحقته، والأصل واحد»[1].

وفي القاموس المحيط: «الإتباع، والاتباع، كالتبع. والتباع، بالكسر: الولاء»[2].

(1) مقاييس اللغة: مادة (ت. ب. ع).
(2) القاموس المحيط: ص 912.

وفي لسان العرب، يقول ابن منظور: «تبع الشيء تبعاً وتباعاً في الأفعال، وتبعت الشيء تبوعاً: سرت في إثره. واتبعه وأتبعه وتتبعه: قفاه وتطلبه متبعاً له»[3].

والإتباع في الاصطلاح:

عرّفه ابن فارس بقوله: «أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيداً»[4]. مثل عطشان نطشان، وليلة ليلاء، ويوم أيوم...

يقول ابن فارس: «وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب». ولم يزد أي تفصيل على هذا![5].

لماذا سمّي بالإتباع؟:

«وإنما سمّي إتباعاً؛ لأنّ الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يُتكلم بالثانية منفردة؛ فلهذا قيل إتباع»[6].

ومن هنا؛ فإنّ التابع لا يكون بالواو، وقد صرفت أمثلة كثيرة بالواو عن باب الإتباع، مثل: حياك الله وبياك، وما قيل في زمزم هي لشارب حلّ وبلّ[7].

الغرض من الإتباع:[8]

رُوِيَ أنّ بعض العرب سئل عن ذلك، فقال: هو شيء نَتِدُ به كلامنا[9].

---

(3) لسان العرب: مادة (تبع).

(4) الصاحبي: لابن فارس، ص 458.

(5) المصدر السابق: ص 458 ـ بتصرف ـ.

(6) المزهر: للسيوطي، 1/ 415.

(7) المصدر السابق: 1/ 415 ـ بتصرف ـ.

(8) الاشتقاق عند الزجاجّ.. مع عمل معجم اشتقاقي لغوي من كتبه المتاحة: د. محمد بلاسي، ص 123.

(9) ينظر؛ الصاحبي: لابن فارس، ص 458. والمزهر: للسيوطي: 1/ 414.

ويرى أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم نجا، أن الغرض من الإتباع:

1 ـ التوكيد: إذا كان الثاني بمعنى الأول. نحو: يوم أيوم، وليلة ليلاء.

2 ـ الإشباع: إذا لم يفد معناه. نحو: عطشان نطشان، وعفريت نفريت.

صور الإتباع:

أن تكون كلمتان متواليتان على رويّ واحد، مثل: حسن بسن.

أن يختلف الرويّان، مثل: ليلة ليلاء.

وتأتي هذه الصورة على وجهين:

أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى. مثل: جديد قشيب.

والثاني: أن تكون الكلمة الثانية غير واضحة المعنى ولا بيّنة الاشتقاق، إلا أنها كالإتباع لما قبلها[10]. مثل: وَتِحٌ شَقِنٌ، ووَتِحٌ شَقِينٌ، أي قليل[11].

أَضرُب الإتباع:

ضربٌ يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به توكيداً؛ لأنّ لفظه مخالف للفظ الأول:

مثل قولهم: رجل قسيم وسيم، وكلاهما بمعنى الجميل، وضئيل بئيل بمعنى واحد، وجديد قشيب بمعنى واحد أيضاً.

وضربٌ فيه معنى الثاني غير معنى الأوّل:

مثل ما يرويه أبو عبيد في غريب الحديث: في قوله ﷺ في الشبرم: إنه حارّ يارّ.

قال الكسائي: حارّ من الحرارة ويارّ إتباع.

---

(10) الإتباع والمزاوجة: لابن فارس، ص 28.

(11) الاشتقاق عند الزجاج: 123.

ومن هذا الضرب ـ أيضاً ـ قول العرب: حسن بسن، وجائع نائع، وعطشان نطشان. . .[12]

والكلمة الثانية في هذا الضرب إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يُتكلَّم بالثانية منفردة؛ لهذا قيل إتباع[13].

أنواع الإتباع:

إتباع الكلمة الكلمة: كما في حسن بسن، وعطشان نطشان.

إتباع الحركات: كما في الحمدُ لُلّه، والحمدِ لِلّه[14].

هذا؛ وللنوع الثاني ثلاثة أنواع هي[15]:

أ ـ ما يتمثل في الصوائتِ (الحركات)، والمقصود به تأثر صوت بصوت آخر مجاور له يتبعه في حركته سواء أكانت الحركة فتحة أم كسرة أم ضمّة، ويكون التأثر إما تأثراً تقدميّاً وإما تأثراً رجعيّاً[16]، وذلك مثل: (رَغَدَا ورَغْدَا)، (إِبِل وإِبْل)، (جُمُعَه وجُمْعَه)، (بِهِيمَة وبَهِيمَة). . . إلخ.

ب ـ يتمثل في الصوامت أو (الحروف)، والمقصود به: تأثر صوت بصوت مجاور له بحيث يكون الصوت المجاور، أو بالأحرى المؤثر، يشبه الصوت المتأثر في المخرج، أو في الصفة أو يكون قريباً منه.

---

(12) يراجع: المزهر: للسيوطي، 1/ 414، 416. ودراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ص239 وما بعدها.

(13) المزهر: للسيوطي، 1/ 415.

(14) مظاهر التخفيف في القراءات السبع في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: للدكتور أبو السعود حسن أحمد أبو السعود، ص 430.

(15) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: للدكتورة فوزية محمد الحسن الإدريسي، ص26، 27.

(16) التأثر التقدّمي: هو أن يتأثر الصوت المتأخر بالصوت المتقدم، وهو ما يعرف بـ: (الإتباع التقدمي)، مثل: عيش رَغَد ـ بمعنى كثير ـ من رَغْد.
أما التأثر الرجعي: فهو أن يتأثر الصوت المتقدم بالصوت المتأخر، وهو ما يعرف بـ(الإتباع الرجعي)، مثل: جَهَاز العروس ـ بفتح الجيم تبعاً لفتحة الهاء بعدها.
ينظر: ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: ص27، 28، 167 وهوامشها.

ويتمثل هذا النوع من الإتباع في الظواهر الصوتية الآتية: الإدغام، والإبدال، والإعلال، والتقاء الساكنين، والإمالة، والترقيق، والتفخيم (أو التغليظ)، وتغيير البناء.

ت ـ يتمثل في «النحو» حيث تتغير الحركة الإعرابية من ضمة إلى كسرة، ومن فتحة إلى ضمة، ومن كسرة إلى ضمة من أجل الإتباع، أو ما يسمّى بـ: «المناسبة الصوتية»، وذلك بسبب الجوار في الأسماء والأفعال[17]. وذلك في مثل: (الحمْدِ لِله) في (الحمْدُ لُله)[18]، و«حُجْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ»[19]...

الهدف من الإتباع الحركي:

«يرجع إلى عامل السهولة التي تنتج عن التقريب بين الأصوات المتجاورة من حيث الحركات والأصوات. بالإضافة إلى السرعة في النطق، والاقتصاد في الجهد العضلي، ومحاولة الانسجام بين الحركات والأصوات المتجاورة، سواء أكانت في كلمة واحدة أم في كلمتين، بحيث يكون النطق بالصوتين مفتوحين أو مكسورين أو مضمومين؛ وذلك أفضل وأيسر على الناطق من النطق بكسرة بعدها ضمة أو بفتحة بعدها كسرة؛ لأن اللغة العربية تحرص كل الحرص على الانسجام بين الألفاظ»[20].

---

(17) كبناء الفعل الماضي على الفتح إذا اتصل بألف الاثنين «ضَرَبَا»، وعلى الضم إذا اتصلت به واو الجماعة «ضَرَبوا».

ينظر: المرجع السابق: هامش 27.

(18) الإتباع هنا في (الحمدِ لله) بكسر الدال تبعاً لمجاورتها اللام المكسورة بعدها، مع أنّ الأصل في حركة الدال هي الضمة لأن (الحمدُ) مبتدأ ولكن غُيرت حركة الإعراب من ضمّة إلى كسرة تبعاً لحركة اللام بعدها وذلك من قبيل الإتباع الرجعي.

ينظر: نفس المرجع: ص 538 (مع بعض الإضافات).

(19) حيث جرّ (خَرِبٍ) تبعاً لـ(ضبٍّ) لمجاورته مع أنه في الأصل مرفوع؛ لأنه صفة لـ(جحر) المرفوعة، وصفة المرفوع مرفوعة مثله، ولكن جر تبعاً لمجاورته لـ(ضبّ) المجرورة بالإضافة، ولصعوبة الانتقال من كسر إلى ضم. ويعدّ هذا من قبيل الإتباع التقدمي.

ينظر: المرجع السابق: ص 544.

(20) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: ص 6، 7، وينظر: الأصوات اللغوية: د. إبراهيم =

ويوضح ذلك الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين هذه الحركات، حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية. وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضوي يميل دون شعور منه أو تعمد إلى الانسجام بين حركات الكلمات[21].

مسيرة الإتباع في الفكر اللغوي:

يعدّ علامة اللغة سيبويه (ت 180هـ) ممّن فطن مبكّراً إلى ظاهرة الإتباع في اللغة العربية؛ حيث قال عن إتباع الكلمة الكلمة: «لا تقول عولة لك، إلا أن يكون قبلها ويلة لك؛ لأنّ ذا يتبع ذا؛ كما أن ينوءك يتبع يسوءك، ولا يكون ينوءك مبتدأ»[22].

أيضاً تحدّث سيبويه في كتابه عن إتباع الحركات وصرّح بمصطلح (الإتباع) حيث يقول: «وأما الذين قالوا: مِغيرة ومِعين، فليس على هذا، ولكنهم أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: مِنتِن»[23].

وفي موطن آخر يقول سيبويه: «وقالوا: عِدِل، وفِسِل، فأتبعوا الكسرة الأولى»[24].

ويوضح في موطن آخر، قائلاً: «اعلم أنّ منهم من يحرك الآخر كتحريك ما قبله، فإن كان مفتوحاً فتحوه، وإن كان مضموماً ضموه، وإن كان مكسوراً كسروه، وذلك قولك: رُدُّ وعَضَّ وفِرَّ يا فتى»[25].

هذا؛ ويشير المبرّد (ت 285هـ) إلى الإتباع حين تحدث عن جمع المؤنث

= أنيس، ص251. واللهجات العربية في التراث: د. أحمد علم الدين الجندي: 1/ 273.

(21) في اللهجات العربية: 96، 97.

(22) الكتاب: لسيبويه 1/ 332.

(23) المصدر السابق: 4/ 109.

(24) نفس المصدر: 4/ 173.

(25) المصدر السابق: 3/ 532.

السالم، وذكر أنّه: «إن كان الاسم على (فُعْلة) ففيه ثلاثة أوجه: . . . إنْ شئت قلت: فُعُلات، وأتبعت الضمة الضمة، كما أتبعت الفتحة الفتحة»[26].

وعن ابن جِنّي (ت392هـ)، فقد أشار في عدّة مواطن من كتابه (الخصائص) إلى الإتباع ـ وإن لم يسمه بذلك ـ، فمثلاً يقول في: (باب في الإدغام الأصغر): «وأما الإدغام الأصغر: فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير ادّغام يكون هناك. وهو ضروب: فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت. وذلك نحو: عالِم، وكتاب، وسَعَى، وقَضَى، واستقضى؛ ألا تراك قرّبت فتحة العين من عالِم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت الفتحة نحو الكسرة؛ فأملْت الألف نحو الياء. وكذلك سعى وقضى: نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها. وعليه بقية الباب»[27].

ويضيف ابن جِنّي قائلاً: «ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق؛ نحو شِعِير، وبِعِير، ورِغِيف»[28].

ويضيف قائلاً: «ومن التقريب قولهم: الحمدُ لُلّه، والحمدِ لِلّه.

ومنه تقريب الحرف من الحرف؛ نحو قولهم في نحو مَصْدر: مَزْدر، وفي التصدير: التزدير»[29].

أيضاً أشار ابن جِنّي إلى ظاهرة الإتباع صراحة في كتابه (الخصائص)؛ حيث يقول: «وقلت مرّة لأبي عليّ ـ رحمه الله ـ: قد حضرني شيء في علّة الإتباع في (نِقيذ)[30] وإن عري أن تكون عينه حلقية، وهو قرب القاف من الخاء والغين، فكما جاء عنهم النخير والرغيف، كذلك جاء عنهم (النقيذ) فجاز أن

---

(26) المقتضب: 2/ 187.

(27) الخصائص: 1/ 141.

(28) المصدر السابق: 1/ 143.

(29) نفس المصدر: 1/ 144.

(30) النقذ: التخليص، والتنجية. . . والنقيذة: فرس أنقذته من العدو. . .
ينظر؛ القاموس المحيط: ص 433.

تشبَّه القاف لقربها من حروف الحلق بها، كما شبّه من أخفى النون عند الخاء والغين إياهما بحروف الضم، فالنقيذ في الإتباع كالمُنْخُل والمُنقِل فيمن أخفى النون؛ فرضيه وتقبّله[31].

أيضاً ذكر ابن جِنّي مصطلح الإتباع صراحة في كتابه المنصف شرح كتاب التصريف للمازني؛ إذ يقول: «وقالوا: (ارجعن مأزورات غير مأجورات)، فهمزا (مأزورات) وهو من الوزر إتباعاً لهمزة (مأجورات)، وقياسه (موزورات)»[32].

هذا؛ وقد أفرد العلامة السيوطي (ت 911هـ) في كتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها باباً بعنوان: (معرفة الإتباع)[33].

وفي الأشباه والنظائر في النحو: للعلامة السيوطي، أفرد باباً تحت عنوان: (الإتباع)[34].

وفيه تناول الإتباع الحركي في بعض صوره، جامعاً جُلَّ ما ذكره القدماء في هذا الإطار.

أيضاً ألفت كتب قائمة بذاتها في إتباع الكلمة الكلمة، منها:

الإتباع: لأبي الطيب، والإتباع والمزاوجة، وإلماع الإتباع: لابن فارس، والإلماع في الإتباع: للسيوطي.

أمّا إتباع الحركة: «فيرى بعض المُحْدَثين أن القدماء لم يعنوا بإتباع الحركة مستدلاً بأنهم لم يصنعوا له مصطلحاً يحدّه ويختص به، فابن جِنّي يسميه في بعض المواضع إتباعاً»[35]. وفي بعضها: تقريب الصوت من الصوت على

---

(31) الخصائص: 2/ 365، 366.

(32) المنصف: 2/ 326.

(33) المزهر: 1/ 414 وما بعدها.

(34) ينظر: الأشباه والنظائر في النحو: 9 ـ 14.

(35) ينظر؛ الخصائص: 1/ 365، 366.

حروف الحلق[36]. وفي بعضها سكت عن تسميته ولم يعقد له باباً مفرداً[37]. وفعلا لم يهتم القدماء بإتباع الحركة ولم يعتنوا بهذه الظاهرة اللغوية كما عنوا واهتموا بغيرها من الظواهر اللغوية الأخرى»[38].

هذا؛ وعن الإتباع عند المُحْدَثين: «فقد عرف المُحْدَثون ظاهرة الإتباع في اللغة العربية كما عرفها القدماء، وأشاروا إليها في كتبهم وقسموها إلى أنواع، ومثلوا لكل نوع، ولكنهم اختلفوا في تسميتها»[39].

وعلى أية حال.. فقد اعتمد المُحْدَثون على ما ذكره القدماء في ظاهرة الإتباع في اللغة العربية، خاصة إتباع الكلمة، وجعلوه في كتب فقه اللغة

---

(36) المصدر السابق: 2/ 143 ـ 145.

(37) نفس المصدر: 2/ 9، 10.

(38) مظاهر التخفيف في القراءات السبع في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: ص 431 نقلاً عن مقال الدكتور محمد أحمد خاطر في مجلة كلية اللغة العربية: العدد الثامن، 1990م، ص6.

(39) فقد سمّاها الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه: «الأصوات اللغوية»، ص 178: (المماثلة) أو (المشابهة) أو (الانسجام الصوتي بين أصوات اللغة).
أما الدكتور تمام حسان في كتابيه: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 199 ومناهج البحث في اللغة، ص 120. أيضاً الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه: التطور اللغوي، ص 22 والدكتور عبد العزيز مطر في كتابه لحن العامة، ص 205، فقد أطلقوا على الإتباع، مسمى: «المماثلة الصوتية».
أما الدكتور عبد الفتاح شلبي فقد أطلق عليها اسم: «المشاكلة»، وذلك في كتابه الإمالة في القراءات واللهجات العربية ص 232.
أما الدكتور عبده الراجحي في كتابه اللهجات العربية في القراءات: ص 145 فسماها بمسماها (الإتباع). ينظر؛ ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: ص 23 فما بعدها.
هذا؛ وقد أطلق الدكتور أحمد علم الدين الجندي على ظاهرة الإتباع الحركي: (المماثلة في الحركات).
ينظر: في القرآن والعربية.. من تراث لغوي مفقود: للفراء (ت207هـ)، صنعة الدكتور أحمد علم الدين الجندي، ص 45.
في الوقت الذي أشار فيه المستشرق الألماني برجشتراسر إلى هذه الظاهرة تحت مسمى «تغير الحركات».
ينظر؛ التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر، تعليق الدكتور رمضان عبد التواب، ص 61 فما بعدها.

واللهجات. أما من تحدث منهم عن الإتباع في دراسة الأصوات: فقصره على إتباع الحركة وعَدُّوه ضرباً من المماثلة... وبعضهم سمى إتباع الحركة: (الانسجام المدّي)، ولا يعدّ ذلك بحثاً لإتباع الحركة، إنما هي إشارات سريعة مقتضبة، ربما كانت مجرّد إيماء، أو ذكر عارض لكلمة الإتباع، ومعظمهم سكت عنه[40].

الإتباع في القراءات القرآنية

لقد أطلق علماء القراءات القرآنية كلمة: (قراءة): على ما ينسب إلى إمام من أئمة القرّاء مما اجتمعت عليه الروايات والطرق عنه[41].

ولعلماء القراءات ضابط مشهور، يَزِنون به الروايات الواردة في القراءات، وحدّه: كلّ قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، ووافقت العربية ولو بوجه، وصحّ إسنادها ولو كان عمّن فوق العشرة من القرّاء[42]، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ إنكارها[43].

---

(40) مظاهر التخفيف في القراءات السبع: ص433 ـ بتصرف يسير ـ، نقلاً عن مقال الدكتور محمد أحمد خاطر في مجلة كلية اللغة العربية: العدد الثامن، 1990م، ص 7.

هذا؛ وتعد الدكتورة فوزية محمد الحسن الإدريسي ـ في نظري ـ أفضل من كتبت عن الإتباع، وخاصة (الإتباع الحركي)، في رسالتها الجامعية: (ظاهرة الإتباع في اللغة العربية)، التي نالت بها الدكتوراه عام 1407هـ في كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى.

(41) إتحاف فضلاء البشر: ص 88.

هذا؛ وتطلق كلمة (رواية) على ما ينسب إلى الآخذ عن إمام من أئمة القراء ولو بوساطة، أما كلمة (طريق) تطلق على ما ينسب للآخذ عن الراوي ولو سفل. المصدر السابق: 88.

(42) القرّاء السبعة هم: نافع المدني، ابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء، وابن عامر الدمشقي، وعاصم بن أبي النجود الكوفي، وحمزة بن حبيب الزيات، والكسائي.

وبقية العشرة هم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ويعقوب الحضرمي، وخلف بن هشام البزار.

وبقية الأربعة عشر هم: ابن محيصن، واليزيدي، والحسن البصري، والأعمش.

(43) مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ الزرقاني، 1/ 418.

هذا؛ ولقد انقسم العلماء حيال تحديد مفهوم «القراءة الشاذة» إلى فريقين:

الأول: جعلها فيما توافر فيها:

أ ـ صحة السند بالقراءة إلى رسول الله ﷺ متواترة من أول السند إلى آخره. =

هذا، وقد حفلت القراءات القرآنية بظاهرة: «الإتباع»، تلك التي تعدّ «من الظواهر اللغوية التي لها أهميتها في عملية اليسر والخفة في النطق، وهي لا تقل أهمية عن الظواهر الأخرى التي ساعدت على التخفيف وتوفير المجهود العضلي في نطق الأصوات، مثل: الإدغام، والإبدال، والمخالفة... إلى غير ذلك من الظواهر اللهجية»[44].

غير أنّ ظاهرة الإتباع في القراءات القرآنية تختص بإتباع الحركات دون إتباع الكلمات الشائع الذائع في الإتباع في اللغة العربية، ذلك الّذي عرّفه ابن فارس بقوله:

«أن تتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويّها، إشباعاً وتأكيداً»[45].

وهو يختلف كل الاختلاف عن الإتباع الحركي، الذي عرّفه بعض الباحثين المُحْدَثين بأنه: تأثر صوت بصوت آخر مجاور له، حيث يتبعه في حركته سواء أكانت الحركة فتحة أم كسرة أم ضمّة، ويكون التأثر إمّا تأثراً تقدمياً، وإما تأثراً رجعياً[46].

= ب ـ موافقتها وجهاً من وجوه العربية مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله.

وتخلف الشرط الثالث وهو:

موافقة القراءة رسم المصحف العثماني.

الثاني: جعلها فيما فقد التواتر من الشرط الأول. فمهما تجتمع الشروط الثلاثة في قراءة بسند صحيح غير متواتر فهي ـ عندهم ـ شاذة.

هذا، وقد قرروا أن الشاذ: هو كل ما وراء القراءات العشر المعروفة.

أما من حيث الاحتجاج بها على اللغة والقواعد العربية فذلك سليم سائغ إذا صحت نسبتها إلى صحابي أو عربي سليقي من التابعين.

ينظر؛ حجة القراءات: للإمام أبي زرعة، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، (مقدمة المحقق)، ص 11 ـ 14 وهامشها.

ولمزيد من التفصيل؛ ينظر: رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: د. عبد الفتاح شلبي: 53 فما بعدها. والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: د. عبد الصبور شاهين، ص 257 فما بعدها.

(44) مظاهر التخفيف في القراءات السبع: 428.

(45) الصاحبي: 458.

(46) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 26، 27.

وهذا الإتباع يقصد منه: اليسر والخفة: وتوفير المجهود العضلي في نطق الأصوات.

ولو تتبعنا هذا اللون من الإتباع في القراءات القرآنية؛ لضقنا ذرعاً، ولاحتجنا قَطْعاً إلى مجلدات ومجلدات، ولكن حَسْبُنا في هذا البحث المختصر أن نلمح إلى شواهد له ـ كنماذج ـ في صوره المتعددة، وإليك البيان:

ـ 1 ـ

(إتباع الفتح الكسر)

أ ـ في الأسماء:

قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[47].

قرئت: (بئيس) بكسر الباء إتباعاً لكسرة الهمزة؛ خاصة وأن بعدها الياء التي يناسبها الكسر، ونسبت هذه القراءة إلى ابن كثير[48].

وهو من الإتباع الرجعي: حيث تأثر الصوت المتقدم بالصوت المتأخر.

يقول مكي القيسي: وحجة من قرأ بكسر الباء؛ أنه كسرها لحرف الحلق بعدها، وهو الهمزة، وأصلها الفتح في قولك: بئس الرجل ثم يقولون: بيس الرجل، كما قالوا في شَهِد شِهِد[49].

ويوضح هذا أحد علماء اللغة المحدثين؛ بقوله: «يميل التميميون إلى كسر فاء فعيل ـ بكسر العين ـ إذا كانت عينه حرفاً حلقياً مثل شعير وبخيل ولئيم وشهيد ورغيف، وكذلك ما كان على وزن فعل ـ بكسر العين ـ وهو حلقيها مثل فخذ وضحك ولعب»[50].

---

(47) سورة الأعراف، الآية: 165.

(48) ينظر؛ معجم القراءات القرآنية: 2/ 416. ومظاهر التخفيف في القراءات السبع: ص 445.

(49) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 481.

(50) الهجات العربية.. نشأة وتطوراً: لأستاذنا الدكتور عبد الغفار حامد هلال، ص 295.

ب ـ في الأفعال:

في قراءة: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾[51].

حيث قرأ ابن كثير وحفص وورش بكسر النون والعين في (فَنِعِمَّا)، بينما قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر العين وفتح النون (فَنَعِمَّا)[52].

وفيه إتباع رجعي: حيث تأثر الصوت المتقدم وهو النون المفتوحة بالصوت المتأخر وهو العين المكسورة؛ فكسر الصوت المفتوح إتباعاً.

يقول مكي القيسي: وحجة من قرأ بكسر النون والعين أنّ الأصل فيه «نَعِم» بفتح النون، وكسر العين، لكن حرف الحلق، إذا كان عين الفعل، وهو مكسور أتبع بما قبله، فكسر لكسره، يقولون: شَهِد وشِهِد، ولَعِب ولِعِب، فقالوا في «نعم»: نِعم، وهي لغة هُذيل[53].

ج ـ في أسماء الأفعال:

ومثاله في الإتباع الرجعي: اسم فعل التعجب (هيت) في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[54].

في قراءة نافع وابن عامر: (هِيْتَ لك)، بكسر الهاء وتسكين الياء ونصب التاء[55].

حيث كسرت الهاء تبعاً للياء بعدها؛ لأنّ الكسرةَ والياء من جنس واحد[56].

---

(51) سورة البقرة، الآية: 271.

(52) المصدر السابق: 1/ 316. وحجة القراءات: ص 147.

(53) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 316.

(54) سورة يوسف، الآية: 23.

(55) السبعة في القراءات: ص 347. وحجة القراءات: ص 357، 358.

(56) ينظر؛ ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 228، 229.

د ـ في الظروف:

ورد في ظرف الزمان في قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[57].

فقد قرأ السلمي بكسر الهمزة في (أيان)[58].

وفي ذلك إتباع رجعي؛ حيث كسرت الهمزة (إيان) تبعاً للياء بعدها؛ لأن الياء امتداد للكسرة، وقد نسب الكسر لسُلَيم.

هـ ـ في الحروف:

ورد في شواذ القراءات عند قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[59].

حيث قراءة بكسر الفاء في (فإنهم)[60]؛ ويعد هذا من الإتباع الرجعي في الحروف؛ حيث كسرت الفاء تبعاً لكسر الهمزة بعدها؛ «وما ذلك إلا من قبيل الانسجام الحركي بين الأصوات المتجاورة التي مالت إليه بنو أسد البدوية؛ وهذا مما يثبت أن البدو يحرصون على الإتباع لما فيه من تخفيف ينتج عن التوافق الحركي، وتلك ميزة عرفت بها القبائل البدوية، ولجأت إليها، وهو عامل من عوامل التطور اللغوي»[61].

ـ 2 ـ

(إتباع الفتح الضم)

أولاً: الإتباع التقدمي

ومن أمثلته:

---

(57) سورة النمل، الآية: 65.

(58) شواذ القراءات: 48.

(59) سورة الأنعام، الآية: 33.

(60) شواذ القراءات: 29، 30.

(61) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 231. وينظر؛ اللهجات العربية في التراث: 1/ 273.

أ ـ في الأسماء:

قال الله ـ تعالى ـ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾[62].

وتلك قراءة الجمهور في (زُلَفا) بفتح اللام. بينما قرأ ابن محيصن ومجاهد بإسكانها[63].

وقرئ في شواذ القراءات بضم اللام (زُلُفاً)، وفيه إتباع؛ حيث ضمت اللام المفتوحة تبعاً للزاي، تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة[64].

ب ـ في الضمائر:

كالضمير في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ﴾[65].

قرأ الجمهور بفتح الهاء. بينما قرأ ابن عامر (أَيُّهُ المؤمنون) بضم الهاء... وهذه لغة[66].

وفيه إتباع؛ حيث ضمت الهاء تبعاً للياء المضمومة قبلها؛ تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة.

هذا؛ وتنسب هذه الظاهرة إلى بني مالك، «وبني مالك من بني أسد، وإن بني مالك من البدو وقد حركوا الهاء بالضم لتنسجم مع حركة ما قبلها»[67].

---

(62) سورة هود، الآية: 114.

(63) البحر المحيط: 5/ 270.

(64) ينظر: شواذ القراءات: 61.

(65) سورة النور، الآية: 31.

(66) ينظر: حجة القراءات: 497، 498. والسبعة في القراءات: 455.

(67) اللهجات العربية في التراث: 1/ 270. وقارن بـ: في القرآن والعربية.. من تراث لغوي مفقود: للفراء، صنعة الدكتور أحمد علم الدين الجندي، ص 45، وفيه ينسب الفراء هذه الظاهرة إلى بني أسد مباشرة.

ومن المعلوم أنّ القبائل البدوية بوجه عام تميل إلى الضمة؛ لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية[68].

في الوقت الذي نعلم فيه أن «من طبيعة البدو الميل إلى الانسجام والمماثلة في الحركات، الذي يعد عاملاً من عوامل التطور اللغوي، ولغة البدو أكثر تطوراً من لغة الحضر، هذا إلى جانب ميل البدو إلى الضم في حين يميل الحضر إلى الكسر أو الفتح غالباً»[69].

ثانياً: الإتباع الرجعي

ومن أمثلته:

أ ـ في الأسماء:

قول الله ـ تعالى ـ: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[70].

قرأ أبو بكر عن عاصم وخارجة عن نافع: (نُصُوحاً) بضم النون.

وقرأ حفص عن عاصم... والباقون: (نَصُوحاً) بفتح النون[71].

ومن قرأ بضم النون: جعله مصدراً من (نصح ينصح نصحاً ونصاحة ونصوحاً).

ومن قرأ بالفتح: جعلوه صفة للتوبة. ومعناه: توبة بالغة في النصح[72].

وهنا تأثر الصوت المتقدم المفتوح وهو النون بالصوت المتأخر المضموم وهو الصاد؛ فضم إتباعاً له؛ تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة.

---

(68) ينظر: في اللهجات العربية: 91.

(69) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 156.

(70) سورة التحريم، الآية: 8.

(71) السبعة في القراءات: 641.

(72) حجة القراءات: 714. وطلائع البشر في توجيه القراءات العشر: 266.

ب ـ في الأفعال:

قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[73].

فقد قرأ الكسائي وأبو عمرو (لا تقنُطوا)[74] على سبيل الإتباع الرجعي؛ حيث تأثر الصوت المتقدم المفتوح وهو النون بالصوت المتأخر المضموم وهو الطاء؛ فضم إتباعاً له؛ رغبة في المماثلة الصوتية.

ـ 3 ـ

(إتباع الكسر الفتح)

أولاً: الإتباع التقدمي

ومن أمثلته:

أ ـ في الأسماء:

قرئ في شواذ القراءات[75] (غَدِقاً) ـ بكسر الدال ـ في قوله تعالى: ﴿لَّأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾[76].

وفي (غَدَقا) إتباع تقدّمي؛ حيث «تجاورت الدال مع الغين المفتوحة ولم يفصل بينهما بفاصل؛ فتحت تبعاً لها؛ وذلك لأنّ العرب تكره الخروج من فتح لكسر؛ لما في ذلك من صعوبة؛ ولأنّ الفتح من أسهل الحركات يليه الكسر ثم الضم»[77].

ب ـ في الأفعال:

ومنه قراءة الفتح في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾[78].

---

(73) سورة الزمر، الآية: 53.

(74) معجم القراءات القرآنية: 6/ 22.

(75) شواذ القراءات: 163.

(76) سورة الجن، الآية: 16.

(77) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 48.

(78) سورة القيامة، الآية: 7.

حيث قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: (بَرِق) بكسر الراء.

وقرأ نافع وأبان عن عاصم: (بَرَقَ) بفتح الراء[79].

وفيه إتباع تقدمي؛ حيث فتحت الراء المسكورة لمجاورتها الباء المفتوحة تبعاً لها؛ اقتصاداً للجهد العضلي في الانتقال من الفتح إلى الكسر.

ج ـ في أسماء الأفعال:

ومنه قراءة الفتح في قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[80].

حيث قرأ نافع: (مُسْتَقَرّ) بفتح القاف.

وفيه إتباع تقدّمي؛ حيث تأثر الصوت المتأخر وهو القاف المكسورة بالصوت المتقدم وهو التاء المفتوحة، ففتح المكسور تبعاً له.

ثانياً: الإتباع الرجعي

ومن شواهده قراءة الفتح في اسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾[81].

فقد قرأ نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم: (مُسْتَنْفَرَة) بفتح الفاء.

وقرأ الباقون: (مستنفِرة) بكسر الفاء[82].

يقول أبو زرعة: والكسر أولى، ألا ترى أنه قال ـ تعالى ـ:

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[83].

فهذا يدل على أنها هي استنفرت[84].

---

(79) السبعة في القراءات: 661. وحجة القراءات: 736.

(80) سورة القمر، الآية: 3.

(81) سورة المدثر، الآية: 50.

(82) السبعة في القراءات: 660، وحجة القراءات: 734.

(83) سورة المدثر، الآية: 51.

(84) حجة القراءات: 734.

أيّاً ما كان الأمر؛ فإنّ الكسر هنا أتبع بالفتح؛ تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة.

ـ 4 ـ

(إتباع الكسر الضم)

أ ـ في الأسماء:

فمن الإتباع الرجعي بين الأصوات المتجاورة قراءة الضم في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[85].

فقد قرأ ورش وحفص وأبو عمرو بضم الباء في (البُيُوت). بينما قرأ قالون وهشام بكسر الباء من (البِيُوت)[86].

فقد ضمت الباء تبعاً لضمة الياء والواو بعدها؛ وذلك ليكون النطق بالأصوات المتجاورة بحركة من جنس واحد هي الضمة، وبذلك تكون (الباء والياء والواو) جميعها من حيز واحد، وهو الضم. بالإضافة إلى أنّ وضع الشفتين عند النطق بالباء يشبه إلى حدٍّ ما وضعهما عند النطق بحركة الضمة[87].

ب ـ في الأفعال:

ومن قراءة أمثلته نافع وابن عامر والكسائي: (يَصُدُّون) بضم الصاد في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[88].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة: (يَصِدّون) بكسر الصاد[89].

---

(85) سورة البقرة، الآية: 189.

(86) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 284، 285.

(87) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 241.

(88) سورة الزخرف، الآية: 57.

(89) السبعة في القراءات: 587.

وفي قراءة الضم إتباع رجعي؛ حيث ضُمَّت الصاد تبعاً لضم الدال.

يقول الإمام أبو زرعة: وحجة من يضم ذكرها الكسائي قال: هما لغتان لا تختلفان في المعنى، والعرب تقول: (يصِدُّ عنّي ويصُدُّ عني) مثل (يشِدُّ ويشُدُّ).

قال الزجّاج[90]: معنى المضموم يُعْرضون.

وقال أبو عبيدة: (مجازها: يعدِلون)[91].

ج ـ في الضمائر:

ومثاله الضمير المضاف إلى الظرف في قول الله ـ تعالى ـ:

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[92].

حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الهاء والميم وصلاً (تحتِهُمُ)، وكسرهما أبو عمرو ويعقوب، وكسر الهاء وضم الميم الباقون[93].

وفي قراءة حمزة والكسائي وخلف إتباع رجعيّ، حيث ضمت الهاء إتباعاً لضمّ الميم بعدها؛ تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة.

ـ 5 ـ

(إتباع الضم الفتح)

أ ـ في الأسماء

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[94].

---

(90) ونص كلام الزجاج: «ويقرأ يصُدُّون ـ بضم الصاد ـ والكسر أكثر ـ يصِدُّون ـ، ومعناهما جميعاً يضجّون. ويجوز أن يكون معنى المضمومة: يُعرضون».
ينظر؛ معاني القرآن وإعرابه: 4/ 416.

(91) حجة القراءات: 652، 653. ومجاز القرآن: 2/ 205.

(92) سورة يونس، الآية: 9.

(93) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 2/ 104.

(94) سورة النساء، الآية: 143.

نسب ابن خالويه إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ: (مُذَبْذَبين) بفتح الميم[95].

وفيه إتباع رجعي؛ حيث تأثر الصوت المتقدم المضموم وهو الميم بالصوت المتأخر المفتوح وهو الذال؛ ففتح إتباعاً لفتح الذال.

ب ـ في الأفعال:

في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[96].

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: (وصُدَّ) بضم الصاد.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: (وصَدَّ) بفتح الصاد[97].

وقراءة الضم على ما لم يُسَمَّ فاعله، وجعلوا الفعل لله: إن الله صَدَّ فرعون عن السبيل.

أما قراءة النصب: فقد أسند الفعل إلى الفاعل وهو فرعون[98].

وفي هذه القراءة إتباع رجعي؛ حيث الانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة، ففتحت ضمة الصاد تبعاً للدال المفتوحة بعدها.

ـ 6 ـ

(إتباع الضم الكسر)

أولاً: الإتباع التقدمي

أ ـ في الأسماء:

وقد ورد الإتباع فيه في كلمتين، وذلك في إحدى القراءات المنسوبة للجعفي في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[99].

---

(95) ينظر؛ شواذ القراءات: 29.

(96) سورة غافر، الآية: 37.

(97) السبعة في القراءات: 571. وحجة القراءات: 631، 632.

(98) ينظر؛ حجة القراءات: 632.

(99) سورة الأنفال، الآية: 41.

حيث قرأها بكسر الخاء: (فإن لله خمسه)[100]؛ على سبيل الإتباع؛ حيث أتبعت حركة الخاء حركة الهاء في لفظ الجلالة؛ نظراً لصعوبة الانتقال من كسر إلى ضم؛ ففيه من الثقل ما فيه[101].

ب ـ في الضمائر:

ومثاله قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[102].

وذلك بكسر ضمير الغائبين في (عليهم) فقد قرأ حمزة: (عليهِمُ) بضم الهاء. وقرأ ابن كثير ونافع في رواية القاضي عن قالون عنه: (عليهِمُو) بكسر الهاء وضم الميم، ويصلون بواو في اللفظ. وقرأ الباقون بكسر الهاء، وسكون الميم (عليهِمْ).

وحجة من قرأ بهذه القراءة (عليهِمْ): أنه استثقل ضمة الهاء بعد الياء؛ فكسر الهاء لتكون الهاء محمولة على الياء التي قبلها على سبيل الإتباع[103].

ج ـ في الظروف:

ومثاله قراءة أبي عمرو ويعقوب: (من تحتِهم) بسكر الهاء والميم[104]. في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[105].

وفيه إتباع تقدمي؛ حيث تأثر الصوت المتأخر المضموم وهو الميم بالصوت المتقدم المكسور وهو الهاء، فأتبع الضم بالكسر، ليعمل اللسان من وجه واحد؛ حيث صعوبة الانتقال من كسر إلى ضم.

---

(100) القراءات الشاذة: 49.

(101) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 75.

(102) سورة الفاتحة، الآية: 7.

(103) ينظر؛ حجة القراءات: 80، 81. والكشف: 1/ 36، 37. والسبعة في القراءات: 108 فما بعدها.

(104) ينظر؛ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 2/ 104.

(105) سورة يونس، الآية: 9.

ثانياً: الإتباع الرجعي

ومثاله قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾[106].

قرأ نافع وحمزة والكسائي: (سُخْرِيًا) بالرفع. وقرأ الباقون: بالكسر، وهُمَا لغتان... والكسر أحسن لإتباع الكسرة[107].

وفيه إتباع رجعي؛ حيث تأثر الصوت المتقدم وهو السين المضمومة بالصوت المتأخر وهو الراء المسكورة؛ فكسرت السين تبعاً لمجاورتها الراء بعدها، ولم يُعْتَدَّ بالساكن الذي بينهما لضعفه.

وقد نسب الكسر لقريش، بينما نسب الضم لتميم[108].

ومن المعلوم: أنّ لهجات الحضر تميل إلى الكسر، في حين لهجات البدو تميل إلى الضم؛ لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية[109].

ـ 7 ـ

(إتباع الضمّ الضمّ)

ومثاله قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي: (ثُمُرٌ) مضمومة الثاء والميم في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾[110].

وتلك قراءة عاصم: (ثَمَرٌ) بفتح الثاء والميم.

وقرأ أبو عمرو: (ثُمْرٌ) بضم الثاء وسكون الميم[111].

ويوضح الإمام أبو زرعة: و(ثُمْرٌ) جمع (ثَمَرة) كـ: (بَدَنَة وبُدْن) ويجوز

---

(106) سورة ص، الآية: 63.

(107) ينظر؛ حجة القراءات: 618، 492. والسبعة في القراءات: 556.

(108) اللهجات العربية في التراث: 1/ 253؛ نقلاً عن اللغات في القرآن الكريم: لابن حسنون: 43.

(109) ينظر؛ في اللهجات العربية: 91.

(110) سورة الكهف، الآية: 34.

(111) السبعة في القراءات: 390. وحجة القراءات: 416.

أن يكون جمع (ثِمار). . . ويجوز أن يكون (ثُمْر) واحدة كـ: (عُنْقٍ وطُنُبٍ)، فعلى أي هذه الوجوه جاز إسكان العين منه.

أما قراءة: (ثُمُرٌ). جمع (ثِمار) كقولك: كتاب وكُتُب.

وعن قراءة: (ثَمَرٌ) فهو جمع (ثَمَرَةٍ) كبقرة وبَقَرٌ، الفرق بين الواحد والجمع إسقاط الهاء[112].

ـ 8 ـ

(إتباع السكون الفتح)

أ ـ في الأسماء:

ومن أمثلته قول الله ـ تعالى ـ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[113].

يقول أبو زرعة: قرأ ابن كثير: «تبت يدا أبي لَهْبٍ». ساكنة الهاء.

وقرأ الباقون: بفتح الهاء، وهما لغتان كالشمْع والشمَع، والنَّهْر والنَّهَر. واتفاقهم على الفتح يدل على أنه أجود من الإسكان[114].

والإتباع هنا تقدّمي، حيث نقلت حركة اللام إلى الهاء الساكنة بعدها والمجاورة لها؛ تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة؛ «رغبة في التأنّي وإعطاء كل صوت حقه، وتلك ميزة حضرية. أما البدو فيميلون إلى الإسكان في مثل هذه الكلمات؛ وذلك رغبة في السرعة والاقتصاد في المجهود العضلي»[115].

هذا؛ وإن كان ابن كثير المكي قد خالف لغة بيئته في هذه القراءة؛ إلا أنه من المقرر أن «القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَة» و«القراءة سُنَّةٌ لا تُخَالَف»!.

---

(112) ينظر؛ حجة القراءات: 416.

(113) سورة المسد، الآية: 1.

(114) حجة القراءات: 776. وينظر؛ السبعة في القراءات: 700.

(115) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 33.

ب ـ في الأفعال:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾[116].

قرأ ورش: «لا تعَدوا» بفتح العين، نقل فتحة التاء إلى العين، مثل «يهَدي»[117].

ويوضح مكي القيسي قائلاً: أصلها «تعتدوا»، فأصلها السكون، ثم أدغمت التاء في الدال، بعد أن ألقيت حركتها على العين، فاختلس حركة العين، ليخبر أنها حركة غير لازمة، ولم يمكنه أن يسكن العين، لئلا يلتقي ساكنان: العين، وأول المدغم. وكره تمكين الحركة، إذ ليست بأصل فيها، وحسن ذلك للتشديد الذي في الكلمة، ولطولها...

وقرأ ذلك ورش بفتح العين، والتشديد على الأصل، وأصله «تعتدوا» في قراءته، ثم ألقى حركة التاء على العين وأدغمها في الدال، وقرأ الباقون بإسكان العين والتخفيف[118].

ـ 9 ـ

(إتباع السكون الكسر)

ومن شواهده قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[119].

وقرأ نافع: (أرْجِهِ) بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء ولا يهمز. هذه رواية المسيبي وقالون[120].

وقرأ الحلواني عن نافع: (أرجِهِ) بكسر الهاء من غير إشباع. وحجته هي

---

(116) سورة النساء، الآية: 154.

(117) حجة القراءات: 218. وينظر؛ الكشف: 1/ 401، 402. والسبعة في القراءات: 240.

(118) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 401، 402.

(119) سورة الأعراف، الآية: 111.

(120) السبعة في القراءات: 287.

أن الكسرة تدل على الياء وتنوب كما قال: «أكرمَنْ» و«أهانَنِ» والأصل: أكرمني وأهانني[121].

وقرأ ابن كثير وهشام بهمزة ساكنة: (أرجه)[122].

وفي قراءة نافع (أرجِهِ) بكسر الهاء إتباع تقدمي؛ حيث تأثر الصوت المتأخر بالصوت المتقدم، فأتبع السكون الكسر فكسر؛ تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الحركات المتجاورة.

ـ 10 ـ

(إتباع السكون الضم)

أ ـ في الأسماء:

ومثاله قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ﴾[123].

فقد قرأ نافع: (والأذْن بالأذْن) ساكنة الذال في جميع القرآن، كأنه استثقل الضمتين في كلمة واحدة فأسكن. وقرأ الباقون بالضم[124].

والشاهد في قراءة الضم؛ حيث تجاورت الهمزة المضمومة مع الذال، فضمت الذال تبعاً لها، على سبل الإتباع التقدمي؛ وذلك لسهولة النطق؛ لأن الحركتين بعد الإتباع تصبحان من مخرج واحد وهو مخرج الضم[125]؛ وذلك رغبة في المماثلة الصوتية بين حركة فاء الكلمة وعينها، وتحقيقاً للتناسب الصوتي، والمحافظة على التأني واستكمال الحركات، وينسب ذلك النوع من الإتباع للحجاز، بينما تميل تميم دائماً إلى التخفيف فتسكن الوسط»[126].

---

(121) حجة القراءات: 290.

(122) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 1/ 470.

(123) سورة المائدة، الآية: 45.

(124) ينظر؛ حجة القراءات: 227. والسبعة: 244. والكشف: 1/ 409 فما بعدها.

(125) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 107.

(126) ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 142.

ب ـ في أسماء الأفعال:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[127].

قرأ ابن كثير وابن عامر اسم الفعل: «أف» بفتح الفاء.

وقرأ نافع وحفص: «أُفٍّ» بالتنوين. وقرأ الباقون: «أُفَّ» خفضا بغير تنوين[128].

وقرئ بالضم: «أُفُّ»[129].

ومن حركها بالضم فقد أتبع الفاء الساكنة لحركة الهمزة؛ فضمها تبعاً لها؛ وذلك للتخلص من التقاء الساكنين في كلمة واحدة، كل هذا على سبيل الإتباع التقدمي[130].

مناهل البحث

أولاً: المصادر والمراجع المطبوعة بعد القرآن الكريم

1 ـ الإتباع والمزاوجة: لابن فارس، تحقيق كمال مصطفى، ط. مطبعة السعادة بمصر، د.ت.

2 ـ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: للشيخ أحمد الدمياطي، تصحيح وتحقيق وتعليق علي محمد الضباع، نشر عبد الحميد أحمد حنفي ـ الغورية القاهرة وأخرى بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، ط. عالم الكتب بيروت.

3 ـ الأشباه والنظائر في النحو: للعلامة السيوطي (ت 911هـ). تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط. شركة الطباعة الفنية المتحدة، سنة 1395هـ،

(127) سورة الإسراء: الآية 23.

(128) حجة القراءات: 399. والسبعة في القراءات: 379. الكشف: 2/ 44. وهامش مصحف مبارك مخطوط شامل للقراءات السبع: 229.

(129) ينظر؛ شواذ القراءات: 76.

(130) ينظر؛ ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: 153، 154.

4 ـ الأصوات اللغوية: للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة ـ مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1979م.

5 ـ الإمالة في القراءات واللهجات العربية: للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط3 ـ دار الشروق بجدة. سنة 1403هـ.

6 ـ البحر المحيط: لأبي حيان، الطبعة الثانية ـ دار الفكر، سنة 1398هـ. وأخرى طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة.

7 ـ التطور اللغوي.. مظاهره وعلله وقوانينه: للدكتور رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض.

8 ـ التطور النحوي للغة العربية: بجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، ط. مطبعة المجد، سنة 1402هـ.

9 ـ حجة القراءات: للإمام أبي زرعة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الرابعة ـ مؤسسة الرسالة، سنة 1404هـ.

10 ـ الخصائص: لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط3 ـ عالم الكتب بيروت، سنة 1403هـ.

11 ـ دراسات في فقه اللغة: للدكتور صبحي الصالح، الطبعة العاشرة ـ دار العلم للملايين، سنة 1983م.

12 ـ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات: للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط. مكتبة نهضة مصر بالفجالة، سنة 1380هـ.

13 ـ السبعة في القراءات: لابن مجاهد، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية ـ دار المعارف، د.ت.

14 ـ الصاحبي: لابن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، ط. عيسى البابي الحلبي، سنة 1977م.

15 ـ طلائع البشر في توجيه القراءات العشر: للشيخ محمد الصادق قمحاوي، الطبعة الأولى ـ مطبعة النصر بالقاهرة، د.ت.

16 ـ فقه اللغة العربية: للدكتور إبراهيم محمد نجا، الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة، سنة 1965م

17 ـ في القرآن والعربية.. من تراث لغوي مفقود: لأبي زكريا الفراء (ت 207هـ)، صنعة الدكتور أحمد علم الدين الجندي، طبع ونشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة 1410هـ.

18 ـ في اللهجات العربية: للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة ـ مكتبة الأنجلو المصرية.

19 ـ القراءات الشاذة: لابن خالويه، نشر برجشتراسر، الطبعة السادسة، سنة 1934م.

20 ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: للدكتور عبد الصبور شاهين، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ت.

21 ـ القاموس المحيط: للفيروزآبادي (ت 817هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة بيروت، سنة 1407هـ.

22 ـ الكتاب: لسيبويه، تحقيق الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون، ط. الهيئة العامة المصرية للكتاب. والطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة 1982م. والطبعة الثالثة ـ عالم الكتب ببيروت، سنة 1983م.

23 ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: لمكي القيسي (ت 437هـ)، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، الطبعة الثالثة ـ مؤسسة الرسالة، سنة 1404هـ.

24 ـ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: للدكتور عبد العزيز مطر، ط. دار الكتاب العربي بالقاهرة، سنة 1386هـ.

25 ـ لسان العرب: لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، ط. دار المعارف، د.ت.

26 ـ لغة تميم.. دراسة تاريخية وصفية: للدكتور ضاحي عبد الباقي، ط. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سنة 1405هـ.

27 ـ اللهجات العربية في التراث: للدكتور أحمد علم الدين الجندي، الطبعة الأولى ـ الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1398م.

28 ـ اللهجات العربية في القراءات: للدكتور عبده الراجحي، ط. دار المعارف بمصر، سنة 1968م.

29 ـ اللهجات العربية.. نشأة وتطوراً: للدكتور عبد الغفار حامد هلال، الطبعة الثانية ـ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة، سنة 1410هـ.

ثانياً: المخطوطات

39 ـ الاشتقاق عند الزجاج.. مع عمل معجم اشتقاقي لغوي من كتبه المتاحة: للدكتور محمد السيد علي بلاسي، (رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بكلية اللغة العربية بالمنصورة ـ جامعة الأزهر، عام 1993م).

40 ـ ظاهرة الإتباع في اللغة العربية: للدكتورة فوزية محمد الحسن الإدريسي (رسالة

جامعية نالت بها صاحبتها درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية ـ جامعة أم القرى، عام 1407هـ)[*].

41 ـ قرآن كريم شامل للقراءات السبع: مصحف مخطوط عام 1157هـ بالخط العربي العماني الأصيل: للشيخ عبد الله بن بشير الصحاري، تم تصويره بالمطابع العالمية، روي ـ سلطنة عمان، د.ت.[**].

42 ـ مظاهر التخفيف في القراءات السبع في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة: للدكتور أبو السعود حسن أحمد أبو السعود، (رسالة دكتوراه مخطوطة محفوظة بمكتبة كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر، تحت رقم 5756، لعام 1998م).

(*) أعارني هذه الرسالة القيمة أستاذي الفاضل: أ.د. عبد الفتاح البركاوي من مكتبته المنزلية العامرة.

(**) هذه النسخة المباركة النادرة، أهداها إلي معالي الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ـ رئيس جامعة الأزهر ـ، أثناء تشرفي بتمثيل مصرنا الحبيبة في «الدروس الحسنية» في القصر الملكي بالرباط، عام 1418هـ.